

المناهل



9

المنهاج

تصدرها
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية
الرباط - المغرب

رجب 1397
يوليو 1977

العدد التاسع
السنة الرابعة

اللغة السواحلية وأثر العربية فيها مالياً

محمد الفايى

الكل يعلم أن اللغات الإسلامية من فارسية وبربرية وتركية ولغة الاوردو وغيرها تأثرت كلها بالاساليب العربية ودخلها عدد كبير من المفردات العربية يتراوح ما بين الخمسين والستين في المائة ولقد جعلتني أسفارى المتعددة فى نواحى العالم اتصل مباشرة بهذه اللغات واهتم بهذه الناحية من الاشعاع الحضارى واللغوى للغة القرآن وقد قدمت لكم فى السنين الاخيرة دراسات عن اثر اللغة العربية فى البربرية وفى التركية ولى دراسة أخرى عن الفارسية وهى أكثر اللغات العجمية تأثراً بالعربية . وقد أثرت فى هذه الدورة أن احدثكم عن لغة أخرى يتكلمها أهالى افريقيا الشرقية وهى السواحلية اللغة الرسمية لطانزانيا ويتكلمها كل السكان المسلمون منهم وغيرهم من الوثنيين والمسيحيين فى كل بلاد افريقيا الشرقية من الاوغاندا الى شمال الموزامبيق . بل ويستعملها كذلك بعض أهالى عمان .

ولقد أمكننى أن ادرس هذه اللغة خصوصاً من ناحية المفردات عند مقامى بـنايروبى عاصمة الكينيا للمشاركة فى المؤتمر التاسع عشر لليونسكو فى شهرى اكتوبر ونومبر الماضيين وانتهزت هذه الفرصة فذهبت لدار السلام حيث

استعمال اللغة السواحلية عام في الحياة اليومية والادارية واقتنيت كتباً في النحو وقواميس مختلفة وانكبت في هذه الاشهر الاربعة على استخراج المفردات العربية الموجودة حالياً في السواحلية وأقول حالياً لان فترة الاستعمار الانكليزي جعلت الفاظا انكليزية وهندية كثيرة تحل محل مفردات عربية .

ويظهر من دراسات المتخصصين ان عرب عمان واليمن كان لهم اتصال متين ببلاد الزنج قبل الاسلام ونزح منهم كثيرون الى هذه البلاد للتجارة اولا ثم للاستيطان حيث تزوجوا من النساء الزنجيات ونتاج عن ذلك امتزاج بين العنصرين وتأثير كبير للغة العرب على لغة البانتو الاصلية لسكان السواحل الشرقية .

ومن اقدم النصوص العربية التي نجد فيها استعمال لفظة السواحل ما ذكره ابن بطوطة في رحلته حيث قال : « ثم ركبنا من مدينة مَمدَشُو (وقد ضبطها هكذا) متوجها الى بلاد السواحل قاصدا مدينة كلوا من بلاد الزنوج فوصلنا الى جزيرة مَنبَسَى » . واللغة التي نتجت عن امتزاج العرب بالزنوج في هذه السواحل سميت السواحلية .

واصل السواحلية من لغة البانتو التي تتفرع الى عدة لغات تستعمل في وسط افريقيا وجنوبها من الكامرون الى بلاد السواحل الشرقية وتمتاز بكونها لا تقبل السكون في مقاطعها وكل مقطع ينتهي بحرف محرك . وهذا ما جعل الالفاظ العربية التي دخلت هذه اللغة تتكيف حسب هذه القواعد . ومن مميزات ايضا ان لها عددا كبيرا من الزوائد في اول الكلمات (سوابق) وفي آخرها (لواحق) (Préfixes - Suffixes) للتعبير عن عدة معان في الاسماء والانعال مما يجعل مثلا احيانا الكلمة العربية عائمة وسط هذه المقاطع كما سنراه . وتمتاز كذلك بعدم وجود اداة للتعريف ولا فرق فيها بين المذكر والمؤنث .

والملاحظ ان التأثير العربي لم يتعد المفردات أما النحو والصرف فانهما بقيا على اصلهما الا ما كان من دخول بعض حروف الجر والعطف ونحوها وبعض الظروف مثل حتى ، لكن ، ولا ، بعد ، بلا ، كما ، او .

ومن البديهي أن نطق كثير من أصوات الحروف العربية تغير كما هو الشأن في اللغات الإسلامية الأخرى باستثناء البربرية التي هي لغة سامية كما كنت شرحت في دراستي عنها .

وهكذا نرى أن الحاء والخاء والهاء تنطق كلها هاء وتكتب اليوم H بعد أن عدلوا عن الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية تحت تأثير الرسائل المسيحية .

والعين تنطق هيزة حسب حركتها فيقولون للعسل أسلى . وللعمارة إمارا ، وللعذر أدرو .

والقاف تنطق كانا : كابيلا = قبيلة : كافلا = قافلة . كلامو = قلم . وترد أحيانا معقودة نحو GALME = قلب .

أما الطاء فتكتب مثل التاء أي بحرف Taibu وحده فيكتبون Taibu = طيب و Tabiru تعبير .

وفي الكتابة بالحروف اللاتينية يميزون بين التاء والتاء بكتابة المثلثة بحرفي Th

ويعتبرون في الكتابة اللاتينية الذال عن الدال يكتبته بحرفي Dh كما يكتبون الضاد كذلك بهذين الحرفين .

وتقلب الباء أحيانا ميما مثل Galme بمعنى قلب .

وتقلب الخاء أحيانا غينا نحو غاق = خفيف بمعنى أهيته خيفة أي ضعيفة .

وينقلب الدال أحيانا تاء مثل دقة = Tike وبارود = Baruti

وينقلب الضاد أحيانا صادًا والطاء دالا نحو ضبط = Sabidi

قدمنا أن الالفاظ العربية التي دخلت السواحلية تكيفت حسب قواعد هذه اللغة وهكذا حيث أن السواحلية لا تكاد تقبل سكونا فكلما اقتبسوا مفردة فيها سكون الا وعوضوه بحركة وكثيرا ما تكون كسرة مثال ذلك :

أولا : تعويض السكون بالكسرة :

Marljani	مَرْجَانِي	=	مَرْجَان
Matilaba	مَطْلَبَا	=	مَطْلَب
Sanifu	صَنِيفُو	=	صَنِيف
Sitiri	سِيتِيرِي	=	سِيتِير
Majira	مَجِيرَا	=	مَجِيرِي
Wasiwasi	وَسِيَوَاسِي	=	وَسِيَوَاس
Fitina	فِتِينَا	=	فِتِينة
Ujira	أَجِيرَا	=	أَجِيرَة
Hasira	هَاسِيرَا	=	هَاسِرَة

ثانيا تعويض السكون بالضم :

Sifuri	صِفُورِي	=	صِفُور
Huruma	هُرُمَا	=	هُرُمَة
Huzuni	هُزُنِي	=	هُزَن
Kusudi	كُسُودِي	=	كُسُود
Bughuda	بُغُوضَا	=	بُغُوض

ثالثا : تعويض السكون بالفتح :

Madarasa	مَدَرَسَا	=	مدرسة
Kahawa	كَهَّوَا	=	قهوة .
Wakati	وَكَتِي	=	وقت (بمعنى اثناء)

ومن التغيرات التي تطرأ على الكلمات العربية عند دخولها في السواحلية أن وزن فَعْل يصير فُعْلِي مثل فُتِحَ = فُتْهِي ، وَمَسَحَ = فُسْهِي . وكذلك فَعْل يصير فُعْلِي نحو فُطِرَ = فُطَرِي .

ومن الامثلة عن الكلمات العربية التي تدخل عليها زوائد تجعلها غامضة وكأنها عائمة وسط تلك الحروف والمقاطع العربية أورد ما يلي :

جَمَلِشَا	=	أى جَمَعَ وهذه اللفظة مأخوذة من مادة جملة
شَغْلِكَا	=	أى شَغَلَ
صافِشَا	=	أى نظيف من الصفاء
تَشَاكُولَا	=	أى أَكَلَ
مَاجِيو	=	أى جِوَاب
إِلْمِيشَا	=	أى عَلِمَ من إِلِم = عَلِيم .

والسواحلية من اللغات المسماة ذوات الطبقات وذلك أنهم يجعلون حروفا أو مقاطع في أول الكلمات للتعبير عن الأفراد والجمع وعن التصغير وعن أسماء حيوانات ونباتات وهكذا فيقولون مثلا أن كلمة متى أى شجرة وجمعها ميتى من طبقة Mi - M وكلمة مَنُو أى شخص وجمعها وأتو من طبقة wa . M

وهذه الطبقات سبع وهى :

الطبقة الاولى : Vi. Ki	—	پى مثالها : كيتو = شىء : پيتو = أشياء .
الطبقة الثانية : Mi. M	—	مى مثالها : مِجى = مدينة : مِجى = مدن .
الطبقة الثالثة : Wa. M	—	مثالها : مَطوطو : وَلِد . واطوطو : أولاد .
الطبقة الرابعة : N	(ويتفق فيها المفرد والجمع)	
الطبقة الخامسة : Ma	(وهى كالتى قبلها)	
الطبقة السادسة :	U	ولها استعمالات كثيرة .
الطبقة السابعة :	Pa	لبعض الاسماء و ku للانفعال .

ومن الطريف أنهم اذا اقتبسوا كلمة عربية تبدىء بكاف مكسورة اعتبروا هذه الكلمة من الطبقة الاولى وجمعوها بحذف ك وتعويضها بالمقطع Vi مثال ذلك كتابو وجمعه عندهم يتابو أى كتب .

وتدل الكاف المكسورة أيضا عندهم على التصغير نحو كُسوماري وهو تصغير مُسوماري أى مسمار ، ويلاحظ أنهم اعتبروا لفظ مسمار لابتدائه بالميم من الطبقة الثانية فلما أرادوا تصغيره حذفوا الميم من أوله لاعتبارها من الزوائد وجاؤوا بالكاف المكسورة للتصغير فصار كُسوماري لا كُمسوماري .

وعندما يأخذون كلمة يجعلونها حسب أذواقهم من طبقة معينة فأرّز الشجر المعروف مثلا قالوا فيه مويريزي Mwerizi ووردة قالوا فيها مويريدي Mweridi وهكذا .

ومن أساليب أخذهم عن العربية أنهم يكررون بعض الكلمات جاعلين من المجموع كلمة واحدة فيقولون مثلا هالا هالا أى حالا وسواسوا أى سواء وكأنهم سمعوا العرب يؤكدون المعنى بتكرار اللفظ فاعتبروا ذلك كلمة واحدة .

ومنها أنهم يأخذون جملا كأنها لفظ واحد وذلك كقولهم كُنْ راضى Kunradhi بمعنى اعذرني لا تؤاخذني وكقولهم للتشكر أسنت أى أَحَسَّنْتُ وكثيرا ما يقولون أَسَنْتِ صَنَا أى أحسنت صنعا ولاكنهم يعنون بذلك شكرا جزيلا ظنا منهم أن صنعا معناها كثيرا . ومن هنا استعملوا لفظة صَنَا بمعنى كثيرا حتى في غير الشكر . فالعبارة السابقة مثلا يضمون لها صنبا للزيادة في الاعتذار فيقولون كُنْ راضى صَنَا : kunradhi Sana (أى كن راضيا جدا بمعنى اعذرني كل العذر) .

ومن هذه العبارات قولهم ما دام بنفس المعنى العربى ويكتبونها بالحروف اللاتينية هكذا Maadam وحرف a الثانى بعد الميم للدلالة على المد .

* * *

ومما ينبغي التنبيه عليه أن كثيرا من المفردات العربية عندما تدخل اللغة السواحلية يطرأ على معانيها تغيير يبعد بها عن المعنى الاصلى كثيرا او قليلا . ومن الامثلة على ذلك الالفاظ الآتية حيث يبعد معناها عن المعنى الاصلى .

كَبَلَا (اى قبلا) ومعناها باكرا .

صَدِيكِي (اى صَدَقَ) ومعناها ظن .

صَرَفُو (اى صَرَفَ) ومعناه النقصود .

فِكِيرِي (من فَكَّرَ) ومعناه اعتبر .

فُرُوضَا (من الْفَرْض) ومعناه مكتب الديوانة اى الكموك باللغة التركية

دَوَاتِي (من الدواة) ومعناها ما يكتب عليه .

مُفْرِجِي (من الفرج) ومعناه الخندق (لانه منفرج) .

تَرَاتِبُو (من الترتيب) ومعناه ظريف .

كَسْتُورِي (من الدستور) ومعناه المنهاج .

لَازِمَا (من اللزوم) ومعناه الواجب .

لَابِدَا (من لَابَدَ) ومعناها ربما .

زَوَادِي (من الزيادة) ومعناها الهدية .

هَفِينُو (من خفيف) ومعناه لا قيمة له .

ومن الكلمات التى لا يبعد معناها كثيرا عن المعنى الاصلى ما يلى :

أَمَانِي (من الامان) ومعناه السلم .

فَسِيرِي (من التفسير) ومعناه تَرْجَمَ .

فَهَالِي (أي فَعَلَ) ومعناه ثَمَر .

هَبَا (أي حَبَا) ومعناه شَىءٌ قَلِيل .

هَرَكَا (أي حَرَكَا) ومعناها السَّرْعَة .

واليكم الآن أمثلة من مفردات لم يتغير كثيرا لا مبناها ولا معناها فتظهر عربيتها لأول وهلة بدون أعمال نظر مع العلم أن السواحلية تزيد في آخر الكلمة أما حركة مضمومة أو حركة مكسورة وإذا كانت اللفظة العربية مفتوحة الآخر تركوها على حالها :

سُكَّر	=	سُكَارِي	باردي	=	بارد
أَلْف	=	إِلْفُو	لجامو	=	لجام
فَهِيم	=	فَهَمُو	كَمُو	=	د م
جِرَاحَة	=	جِرَاحَا	مَسْدُوكُو	=	صندوق
أَذَى	=	أَذَا	رِصَاصِي	=	رصاصَة
أَصْل	=	أَصْلِي	غَالِي	=	غال
بَرْكَة	=	بَرْكَا	طَبِيبُو	=	طبيب
بَطَّاءَة	=	بَطَّاءَا	سَمَكِي	=	سمك
يَلُور	=	يَلُورِي	فَرَسِي	=	فرس
بَنْدُكِيَة	=	بَنْدُكِي	أَرْضِي	=	أرض
دِين	=	دِينِي	دَوَا	=	دواء

كَكِيكَا = دَقِيقَة	فَضْلِي = فَضْل
مَسْكِينِي = مَسْكِين	هَكِيكَا = حَقِيقَة
زَبِينُو = زَبِيب	كَنيسَا = كَنيسَة

ومن الكلمات التى لم يتغير معناها وانما تغير اما مبناها أو نطق حروفها بسبب عدم وجود بعض الاصوات فى السواحلية كالعين والحاء والفاء والقاف مثلا هذه الامثلة :

جَبِيو	=	أَجَاب
هَمِيرَا	=	خَمِيرَة
جَنِي	=	الْجِنَة
نَسُو	=	نَصَف
أَفِيَا	=	عَافِيَة
أَيَّنَا	=	عَيْنَة
بَهَارِي	=	بَحَر
كُفُولِي	=	قُفْل
رَهوسَا	=	رُخْصَة
بِرِيكَا	=	بِرْكَة
يَهْمَا	=	خِيْمَة

* * *

وقد عمدتُ الى احصاء الكلمات العربية الدخيلة في السواحيلية استنادا على قاموس سواحلى انكليزى فوجدت أنها تفوق الاربعين فى المائة ولم اعد الكلمات المشتقة من مادة واحدة ، ولم يخص لها غالبا مؤلف القاموس محلا فى ترتيبه العام وانما اكتفى بما ورد منها فى المادة المعنية على غرار ما يفعله أصحاب القواميس العربية القديمة ويظهر لى أن لو جمعت تلك المفردات كلها لاصبح عدد الكلمات العربية فى السواحلية خمسين فى المائة .

وفى الختام أريد أن أنبه الى ظاهرتين الفتتا نظرى أثناء الدراسة :
أولاهما أن كثيرا من الكلمات العربية المستعملة فى السواحلية لها شبه كبير بالاستعمالات المغربية وذلك نحو قولهم للتجارة بياشرا أى البيع والشرا وهى العبارة السائرة عندنا لهذا المعنى فان كنا نقول التاجر فلا نستعمل فى لغة التخاطب لفظ التجارة وانما نقول : البيع والشراء .

ومن ذلك قولهم : وادى ناسى أى ولد الناس وهذا هو الاستعمال الشائع فى المغرب للتعبير عن الانسان الفاضل المتخلق بالاخلاق الحميدة .

ومن ذلك تسميتهم الرسالة بلفظ باروا وهى بالمغرب برا من اللفظ العربى براءة .

ومن ذلك تسميتهم الاسكاف مَهْرَيزِيَّيْ أى مخزى وهو ما نسميه بالمغرب خزار .

وكذلك تسميتهم الحبل الصغير كامبا وهى ما نسميه بالمغرب قنبسة .

وكذلك تسميتهم الاسبوع جوما أى جمعة مثل ما نقول بالمغرب ولعل هذا الاستعمال يوجد فى لهجات عربية أخرى .

ومن ذلك قولهم حُضُورِيُو للحضور فى الكتاب القرآنى وفى المغرب المحضرى هو تلميذ السيد أى المدرسة القرآنية .

وهذه الظاهرة كان لاحظها ابن بطوطة عند أهل اليمن وبالاخص فى مدينة ظفار . وقد قدمنا أن عرب اليمن وعمان هم الذين كانوا ينزحون

الى بلاد السواحل للتجارة وللإستيطان . قال ابن بطوطة : (1) « ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب في شؤونهم . نزلت بدار الخطيب بمسجدها الأعظم وهو عيسى بن علي الكبير القدر الكريم النفس فكان له جوار مسميات بأسماء خدام المغرب احدها من اسمها قاختة والاخرى زاد المال (2) ولم أسمع هذه الاسماء في بلد سواها . . . وفي كل دار من دورهم سجادة الخوص معلقة في البيت يصلى عليها صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب . وأكلهم الذرة . وهذا التشابه كله يُقَوِّي القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير . » اهـ.

وهذا ما يجرنا الى الكلام عن الظاهرة- الثانية التي الفتت نظري في اللغة السواحلية وذلك أنني لمحت كذلك شبها مع البربرية في أصول هذه اللغة .

أولا : في كون الأشياء التي ليست صلبة كالسوائل لا تستعمل الالفاظ التي تعبر عنها الا جمعا كما هو الشأن في البربرية وفي العبرية وهكذا في السواحلية :

ماجى = المياه

مازيوا = الحليب

مافوتا = الزيت . وكل هذه الالفاظ على صيغة الجمع .

ثانيا : في مفردات لم تؤخذ عن العربية وتعتبر أصيلة في السواحلية ومنها :

-
- (1) طبعة المكتبة التجارية الكبرى القاهرة 1967 ج 1 ص 165
(2) وهذان الاسمان لازالا معروفين بالمغرب ويقال للاسم الثاني اليوم : زيد المال .

فيسسى = الضبع وهى فى البربرية .افيسس .

وا = ابن وهو فى البربرية ا و .

زورى = جميل وهو فى فى البربرية زيل — واللام تقلب راء فى كثير من اللغات . وهذا يقع كذلك فى السواحلية

فهم يقولون إنـكـريـزا للانـكـليـز . ومن وجوه الشبه كذلك أنهم يزدون همزة محركة بالضم هكذا ١١ فى أول الكلمات — من أسماء وصفات كما يزد البرابرة همزة مفتوحة . وهكذا نجد فى السواحلية أريـو (اى أعـرـبـوا) ويقصدون به العربى فى حين يقول البرابرة للعربى أعـرـبـي وفى السواحلية كذلك أفوكارا اى الفقير وفى البربرية أفقير .

ومن أوجه الشبه أن السواحلية ليست فيها أداة للتعريف كما هو الشأن فى البربرية وقد كنت ذكرت فى بحثى « البربرية شقيقة العربية » أن الهمزة فى أول الاسماء والصفات بقية من أداة التعريف القديمة . ولاشك أن ا فى اللغة السواحلية كذلك .

هذه لبنة أخرى أضعها بين أيديكم فى بناء هذا النصب الهائل لاشعاع اللغة العربية فى العالم شرقا وغربا تحت لواء الاسلام الذى لولاه لبقيت منحصرة فى جزيرتها المنقطعة من بقية العالم والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد الفاسي

الرباط